الحزب الشيوعي المصري - وثائق المؤتمر الأول

طبيعة السلطة القائمة في مصر

عرض برنامج الحزب الشيوعي المصري، للخريطة الطبقية للمجتمع المصري، ليؤسس عليها تحديده لطبيعة السلطة القائمة الان في مصر، وانطلاقا منها، وطبيعة المرحلة الثورية الراهنة في البلاد، ورأى مؤتمر الحزب، ان يتوقف عند شريحتين من شرائح البرجوازية المصرية، اذ لهما اهمية خاصة لدور كل منهما في مجرى ثورة يوليو ١٩٥٢، وانقلاب السادات في ١٩٧١. وهاتان الشريحتان هما : (أ) البرجوازية البيروقراطية والتكنوقراطية. (ب) البرجوازية الطفيلية.

البورجوازية البيروقراطية والتكنوقراطية

وهي تضم الكوادر الادارية في جهاز الدولة والقطاع العام وقد اصطلح البعض على تسميتها (بالطبقة الجديدة) وهي تسمية غير علمية، لان البرجوازية البيروقراطية والتكنوقراطية مجرد شريحة متميزة من شرائح البرجوازية وليست طبقة اجتماعية قائمة بذاتها تحتل موقعا خاصا بها في عملية الانتاج.

وقد نمت هذه الشريحة وتضخمت عقب قوانين الاصلاح الزراعي والتأميم واقامة القطاع العام وتعدد اجهزة الدولة الادارية وتولي الدولة مهام مباشرة في ادارة الحياة الاقتصادية.

ونمت هذه الشريحة منذ نشأتها من :

١) جناح عسكري

تمثل نواته في البداية اعضاء من الضباط الاحرار. وقد ضم هذا الجناح البيروقراطية العسكرية من الصغير العليا والمتوسطة في القوات المسلحة والمخابرات واجهزة الامن المختلفة. وراح هذا الجانب يمد نفوذه من داخل القوات المسلحة واجهزة الامن الى خارجها وانتشرت عناصره في كافة الاجهزة والمؤسسات المدنية والادارية والاقتصادية والدبلوماسية..

٢) جناح مدني

يضم الكوادر الفنية (التكنوقراطية) في القطاع العام والكوادر الادارية (البيروقراطية) في الدولة والتنظيم السياسي الحاكم والحركة النقابية للمهنيين والمثقفين المرتبطين بالشريحة. وهذه الشريحة تتميز بسمات خاصة بحكم دورها الوظيفي حيث تنتمي الى اصول اجتماعية متشابهة فمنها عناصر ذات اصول برجوازية صغيرة بل فيها

عناصر ذات اصول عمالية وفلاحية (قيادات الحزب الحاكم والحركة النقابية) الا ان غالبيتها من اصول برجوازية متوسطة او كبيرة على القاعدة.

وقد نجحت عناصر هذه الشريحة في تكوين الثروات من خلال مواقعها الوظيفية ونفوذها وتلك الضخمة التي تتحصل بوسائل مشروعة (مرتبات - بدلات) او غير مشروعة - رشوة - عمولات - الاثراء الحرام).

وتتمركز عناصر هذه الشريحة في القطاع العام واموالها في مختلف فروع الاستثمار (زراعة - تجارة - صناعة - خدمات) واخذت بذلك تتنافس مع القطاع الخاص ومشاركته واصبح مجال الاستثمار الذى تستخدم فيه هذه العناصر رؤوس اموالها هو الذى يحدد موقعها الى الخريطة الطبقية.

هذا وقد لعبت هذه الشريحة بمجملها وبمختلف اجنحتها دورا بالغ الاهمية في مسار ثورة يوليو وقيادتها وان كانت تتحمل ايضا مسؤولية الكثير من سلبيات الثورة. كما ان جناحها اليميني قد تولى قيادة انقلاب مايو ١٩٧١. وراح يتحالف مع الشريحة البرجوازية الاخرى (البرجوازية الطفيلية).

ب) البورجوازية الطفيلية

وهي بدورها شريحة من شرائح البرجوازية لها قسماتها التي تميزها عن الشرائح الاخرى وان كانت غير منفصلة عنها انفصالا مطلقا.

ذلك ان العديد من الراسماليين الطفيليين.. وفدوا الى هذه الشريحة من صفوف الشرائح البرجوازية الاخرى.

والراسمالية الطفيلية ليست ظاهرة مصرية.. وانما بدأت في الظهور على امتداد بلدان العالم الثالث. انها افراز المرحلة المعاصرة من نمو الامبريالية.

وبدأت هذه الشريحة في التوالد بشكل ملحوظ في اعقاب اجراءات يوليو ٦١، ودفعت اجراءات التأميم التي تناولت بعض القطاعات الانتاجية الاساسية (صناعة - زراعة) دون ان تجتث العلاقات الراسمالية من جذورها الى اندفاع رأس المال الى مجالات الاستثمار غير الانتاجية التي ظلت بمنأى عن اجراءات التأميم.

ونمت هذه الشريحة وترعرعت بالتحالف الوثيق والمشاركة مع قسم من الشريحة البيروقراطية والتكنوقراطية مستغلة غيبة الديمقراطية وانعدام الرقابة الشعبية على القطاع العام.

وجاء انقلاب مايو ٧١ وسياساته الاقتصادية ليفتح الباب على مصراعيه امام هذه الشريحة فزاد معدل نموها وتضاعف ثقلها الاقتصادى ونفوذها السياسي حتى تمكنت في النهاية من الانفراد بسلطة اصدار القرار.

السمات الأساسية للبورجوازية الطفيلية

وتتميز البرجوازية الطفيلية بسمات تجعلها اشد خطورة وضراوة من سائر شرائح البرجوازية كما انها تجعل الصراع الطبقي ضدها اشد تعقيدا وصعوبة واهم هذه السمات هي :

١) هذه الشريحة بحكم موقعها خارج عملية الانتاج الاجتماعي لا تكترث بالاحتياجات الماسة للاقتصاد القومي ولا ترتبط بالسوق المحلي او القومي. ولا تعترف بالقيم الوطنية او القومية ولا تعرف الولاء الوطني او الانتماء القومي.. ولا تكن اى تقديس (لارض الاباء والاجداد) ذلك التقديس الذى كان احد اسس الايديولوجية البرجوازية في مرحلة ازدهارها.

وتتمثل في هذه الشريحة الطابع القاعدة الاجتماعية الاساسية للاستعمار الجديد. وهي الاداة التي يسخرها للتحكم في اقتصاديات البلاد النامية واستنزاف ثرواتها وتصدير الثورة المضادة الى ربوعها.

لذلك كله فان هذه الشريحة الطبقية كانت القاعدة الاجتماعية للثورة المضادة التي وقعت في مصر وللارتداد عن النهج الوطني. وهي في عمالتها للامبريالية لا تنضبط بقوانين الصراع الدولي التي يحددها توازن القوى بين الامبريالية والاشتراكية. بل تبدى احيانا حماسا للامبريالية اكثر من المطلوب وتقدم لها من التنازلات والخدمات ما هو ابعد من احلام السيد المتبوع واكبر من طاقات العميل التابع.

٢) واذا كانت حفنة محدودة من كبار المسؤولين في الدولة والقطاع العام واقربائهم وانسبائهم يقفون على قمة هذه الشريحة، فان للبرجوازية الطفيلية قاعدة اجتماعية واسعة تمتد على عرض المجتمع باسره، في الريف والمدينة اذ تسعى هذه الشريحة لاستقطاب عناصر من مختلف الطبقات الاجتماعية وتجنيدها لقيمها وسلوكياتها واساليبها في الاستغلال. وهي تفرز بشكل مستمر اشكالا ادنى وادنى من النشاط الطفيلي حتى تصل الى شبكات المنادين "الطفيليين عند مواقف تاكسيات الاقاليم. والمتاجرين في السوق السوداء في تذاكر السينما والمسرح".

وتركز البرجوازية الطفيلية بشكل خاص على عناصر البرجوازية الصغيرة واشباه البروليتاريا في المدن وحثالة البروليتاريا وصبية الشوارع وذوى السوابق الاجرامية والعناصر المغامرة المتمردة على كل القيم الاجتماعية. وتغرى البرجوازية الطفيلية بعض عناصر الطبقة العاملة للعمل لحسابها والارتباط بها في اعمال التهريب وتجارة الشنطة مستثيرة فيها نوازع الانانية الفردية كما تستخدم عددا كبيرا من المهنيين من محامين ومحاسبين وغيرهم لتوفير الحماية القانونية لها وتهيئة السبل امامها للتحايل على القانون والتهرب من الضرائب.

وراحت البرجوازية الطفيلية تمد اذرعها الاخطبوطية الى داخل القوات المسلحة. واستغلت شعار تنويع مصادر السلاح لتخلق الوكلاء التجاريين العسكريين داخل القوات المسلحة، تعقد الصفقات المشبوهة وتروج لانتاج احتكارات السلاح العالمية وتحصل في مقابل ذلك على عمولات ضخمة كما تشجع هذه الشريحة ضباط الجيش على الانغماس في انشطة طفيلية مختلفة (بوتيكات - سيارات تاكسي - السمسرة في السوق - الاتجار في قطع غيار السيارات..).

٣) والبرجوازية الطفيلية لا علاقة لها بالعمل الانتاجي، ولا تحقق ارباحها الاساسية من النشاط الانتاجي وانما من امتصاص الفائض الاقتصادى الذى يتحقق من خلال النشاط الانتاجي في المجتمع وهذه الشريحة تتشكل في الاساس من عناصر تسويق لا صلة لها بالانتاج السلعي.

أهم مجالات النشاط الطفيلي

النشاطات الكومبرادورية : اى توكيلات التصدير والاستيراد. وسطاء الاحتكارات العالمية. والبرجوازية الكومبرادورية الجديدة تختلف عن البرجوازية الكومبرادورية القديمة التي صفتها اجراءات يوليو. فلقد كانت الكومبرادورية قبل ١٩٥٢ تتشكل اساسا من العناصر الاجنبية والمتمصرة اما البرجوازية الكومبرادورية الجديدة فهي مصرية الجنسية من كبار المسؤولين في الدولة واقاربهم. ومن البيروقراطيين والتكنوقراطيين الذين جندتهم الاحتكارات العالمية لخدمتها وحولتهم الى وكلاء لها في السوق المصرى.

٤) والصراع الطبقي ضد هذه الشريحة بالغ التعقيد والصعوبة. ذلك انها عدو طبقي خفي للطبقة العاملة لا يرى ولا يلمس بشكل مباشر. على عكس الراسمالية الصناعية مثلا. ذلك ان الطبقة العاملة تواجه استغلال الراسمالي الصناعي تحت سقف المصنع مواجهة مباشرة. اما الراسمالي الطفيلي فهو يستغل الطبقة العاملة بوصفها جزءا من جمهور المستهلكين.

والراسمالية الطفيلية بالغة الشراسة والشراهة في استغلالها وفي امتصاص عرق ودماء العمال ومع ذلك لا يظهر هذا الاستغلال بشكل صريح امام العمال. ولذلك فان الصراع الطبقي ضد هذه الشريحة يتطلب ابتداع اشكال نضالية جديدة.

٥) ومما يضاعف خطورة هذه الشريحة انها تشيع في المجتمع نمطا متكاملا من الحياة وتقيم صرحا من السلوكيات والقيم الطفيلية.. وتنشر الفساد والانحلال الخلقي والانحطاط الانساني على اوسع نطاق. وتروج لهذه السلوكيات والقيم في صفوف مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية ولذلك فان الانتصار في الصراع الطبقي ضد البرجوازية الطفيلية لن يتحقق بمجرد ازاحتها من السلطة. اذ ان الامر يتطلب استئصال كافة قيم وسلوكيات البرجوازية الطفيلية من جذورها وتطهير المجتمع المصرى من ادارتها..

طبيعة السلطة القائمة

ظلت السلطة السياسية طوال حكم جمال عبد الناصر، تجسد سلسلة من التحالفات الطبقية بين الفئات المختلفة من البرجوازية الوطنية وكانت هذه التحالفات تتسع وتضيق عبر المراحل المختلفة لثورة يوليو.

غير ان الثقل الاساسي داخل هذا التحالف الحاكم ظل لممثلي البرجوازية المتوسطة.

وبدءا من عام ١٩٦٥ اخذ نفوذ الراسمالية الكبيرة الاقتصادى والسياسي يتزايد داخل التحالف كما اخذت شريحة الراسمالية الطفيلية تنمو تدريجيا داخل المجتمع.

وعلى اثر وفاة عبد الناصر في سبتمبر ١٩٧٠، عجل غياب قائد ثورة يوليو عن مسرح الاحداث باختلال التوازن داخل التحالف الحاكم، وانتهى الامر باقصاء اليسار الناصرى عن الحكم.

ومنذ ١٤ يوليو ١٩٧١ استأثر بالسلطة تحالف طبقي يميني رجعي ضم اليمين الناصرى واليمين المعادى للناصرية وعملاء الامبريالية.

وضم هذا التحالف طبقات وفئات اجتماعية متعددة وغير متجانسة. بلغ بعضها حد الخيانة والعمالة وراح بعضها يسعى للتهادن مع الامبريالية بينما تمسك بعضها بقدر او اخر من الملامح الرئيسية للخط الوطني التقدمي للناصرية.

وضم الجناح العميل في السلطة اساسا : الراسمالية الطفيلية - وخاصة الكومبرادور - باقسام من البيروقراطية والتكنوقراطية التي ارتبطت بمصالح متشابكة مع الاحتكارات العالمية - والراسمالية الصناعية والتجارية والزراعية المرتبطة براس المال الاجنبي والتجارة الخارجية بتصدير الحاصلات الزراعية.

وتعتبر مؤسسة الرئاسة هي هيئة اركان حزب هذا الجناح العميل في السلطة.

واستغل هذا الجناح صلاحيات رئيس الجمهورية غير المحدودة للانفراد التدريجي بالسلطة.

وكان دخول المجموعة الاقتصادية للوزارة في ١٩٧٦ وصدور القرارات الاقتصادية المشؤومة خضوعا لشروط المؤسسات المالية الدولية للامبريالية العالمية وبتدخل مباشر من مؤسسة الرئاسة ايذانا بانتقال سلطة اصدار القرار داخل التحالف الحاكم الى الجناح العميل بشكل نهائي.

ومع اعلان النظام في سياسات الردة وتصعيده للخيانة الى حد التفريط الكامل والمهين في استقلال مصر السياسي والاقتصادى وانتماء مصر العربي برز بشكل متزايد التمايز في المواقف بين الجناح العميل والجناح المتهادن (تنصل نواب حزب الوسط من الاجراءات الاقتصادية - ملاحظات اغلبية نواب الحزب الحاكم على اتفاقية كامب ديفيد الاولى - معارضة قسم الديبلوماسية المصرية لسياسات السادات).

ومن خلال الصراع الطبقي ضد سياسات الردة، توالى الاستقطاب داخل صفوف الجناح المتهادن وراح قسم من هذا الجناح ينقل مواضعه الى صفوف العمالة بينما انسلخ قسم آخر عن التحالف الحاكم وزادت عزلة النظام وضاقت قاعدته الاجتماعية يوما بعد يوم، واخذ ينقلب على مؤسساته ويسرع الخطى لاعادة ترتيب الاوضاع داخل مؤسسات النظام لتأمين انفراد الجناح العميل بالسلطة. وتأكيد قيادة الراسمالية الطفيلية لهذا الجناح (حل حزب مصر - حل مجلس الشعب..).

وهكذا اصبحت السلطة السياسية القائمة اليوم تمثل تحالفا طبقيا رجعيا عميلا تقوده الراسمالية الطفيلية.

الموقف من السلطة القائمة

بانفراد التحالف الطبقي العميل بالسلطة السياسية، واستحواذ الراسمالية الطفيلية على مركز صنع القرار اصبحت السلطة القائمة منحازة انحيازا كاملا ونهائيا الى الامبريالية وباتت تشكل جزءا عضويا من جسم الامبريالية العالمية العدو الرئيسي لشعبنا. وبالتالي اصبح التناقض بين شعبنا والسلطة القائمة تناقضا رئيسيا لا يحل الا بالاطاحة بها.

لذلك اصبح الهدف الرئيسي والمباشر للحزب الشيوعي المصرى، والحلقة الرئيسية في نضاله الجماهيرى، هو النضال في سبيل اسقاط سياسات خيانة المصالح القومية والوطنية، وافقار الفقراء واثراء الاثرياء. تلك السياسات التي ينتهجها النظام القائم. الامر الذى لن يتأتى الا باحداث تغيير كيفي في السلطة قوامه اسقاط سلطة الراسمالية الطفيلية وحلفائها واقامة سلطة جديدة قادرة على انقاذ الوطن من الثورة المضادة وانجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية.

ان عملية التقدم الحضارى والاجتماعي والسياسي والديمقراطي في بلادنا لا يمكن انجازها الا ببرنامج جديد تتولى تنفيذه سلطة جديدة.